المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوز بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له. وأشهد أن لا اله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله، ثم أما بعد:

ظاهرتي المد والجزر والموت والحياة من الظواهر الخالدة في هذه الحياة الدنيا. وهذا ينطبق على البشر فرادى وجماعات أمما وشعوبا، فلكل أمة أجل، وتلك الأيام تداول بين الناس. هذه حقيقة قرآنية يقر بها أغلب العقلاء.

القرن الميلادي الماضي سطرت فيه شهادة وفاة الخلافة الإسلامية دون وريث، ولأول مرة في تاريخ الإسلام تحدث مثل هذه الفجيعة... نعم كانت الخلافة في حالة موت إكلينيكي لكن الإعلان كان له صدى مدوٍ، ولحقت بلاد المسلمين بأخواتها لتصبح تحت الحكم المباشر من الكافرين في معظم المعمورة.

ولكن إذا بلغ الليل تمام حلكته فلابد أن تظهر تباشير فجر جديد، المد يبدي نفسه على استحياء والجزر يقاومه بإصرار يرجو استدامة الحال، وها نحن الآن نشهد الربع الأخير من ذلك القرن.. إنها فترة السبعينات فترة الصعود المتسارع والمتنامي لظاهرة سميت (الصحوة الإسلامية) الذي كان له وقع بالغ التناقض على جبهتين: أنصار الإسلام وأعداء الإسلام، إنه الشعور بنشوة الأمل في عودة الحق السليب، وقلق الناهب القاتل يخشى أن تدب الروح عائدة إلى الضحية، إنه تناقض الفزع والأمل، ولكن العجيب أن طرفي النقيض جمعهما أمر واحد إنه المبالغة في تصور مآل هذه الصحوة، فباستثناء قلة من النابهين[1] في كل من

(١) ومن هؤلاء أوليفيه روا مدير الأبحاث بالمركز الوطني للعلوم السياسية بباريس الذي أصدر منذ أكثر من عشر سنوات كتابه «فشل الإسلام السياسي» والذي اعترض على طرحه الجميع تقريباً، لأن صعود التيار الإسلامي كان من القوة بحيث لم يقبل أحد ذلك العنوان المستفز، ولكن لما بدا واضحاً للعيان صدق توسمه وبدأ الكلام عن انحسار الظاهرة الإسلامية أخرج كتابه الثاني «عولمة الإسلام» ليبين فكرته كاملة والتي خلاصتها: نعم فشلت الحركة السياسية الإسلامية لكن الأسلمة مستمرة.

وعلى الجانب (المسلمين) شيخ مخضرم يترجى رجل الحركة الإسلامية القوى بالجزائر ألا يتدخل نفسه ذلك الفخ (الانتخابات البرلمانية) فيكون الرد: إننا أعلم بواقعنا.

دون أن يسأل نفسه: أين مركز القوة؟ هل هو في الصندوق أم في الثكنات؟

المعسكرين وقع الجميع في فخ الخلط بين الواقع الفردي داخل المجتمع والواقع المنظم لحركة المجتمع ككل.

وشتان هو الفارق بين التزام يلزم به الفرد نفسه والزام يرى المجموع أنه قد وقع على عاتقه.

الوقوع في هذا الفخ الموحد - الخلط بين واقع الفرد من حيث الخلق والنسك وواقع الجماعة السياسي- كان له رد فعل (يناسب موقعك من أحد المعسكرين).. مزيد من التحفز وإعداد العدة لوقف ذلك المد.. ومن الجانب المقابل بدأ الاستعداد لإقامة الأفراح..أفراح التمكين للإسلام والتخلص من الواقع الأليم.

(من تتبع الصيد غفل)

وهكذا وُلدت الكارثة وكانت الصدمة.. إنه الزلزال الذي لم يكتفِ بتدمير البناء المادي، بل تراه ينال من أسس القناعات ويحطم الآمال.

نشوة الحلم دفعت مراكز الثقل للحركة الإسلامية العربية بالوسط والمشرق و المغرب لمحاولة التوثب، توثب